

## 849 - ماذا بقي عند المصريين من شمامة وتضحية (حتى التماكة)؟

## تعتة الوفد

أحيانا، قبيل الفجر، أطلع عناوين الصحف على "النت" قبل أن تصلني ورقية، بدءا بالأهرام، لم أجد اليوم في الصفحة الأولى ما يشد انتباهي، فجميع العناوين - تقريبا - إما قديمة (مكررة - بايئة)، وإما رسمية، وإما تحصيل حاصل، ومع ذلك لم أستطع أن أف عن هذه العادة ابدأ، أنا قارئ صحف مزمّن، عاصرت ولادة أخباراليوم وأنا بعد في العاشرة (1944) ولم أكن أعرف قبل ذلك إلا الأهرام، الذي أكرمتي ورحب بقلمي دهرا، وربما لذلك ما زلت أتصفحه يوميا مرغما، برغم ما آل إليه، وبرغم تحلى معظم من أعرف عنه، اليوم كانت عناوين الصفحة الأولى كما هي كل يوم: مناقشات حول سياسات التعليم (انتهت برفض تسع استجابات بسحب الثقة)، مبارك يلتقى اليوم بمجلس القضاء الأعلى، اتفاق غير ملزم لخفض الحرارة في كوبنهاجن، الجمعية العامة تساند حقوق الشعب الفلسطيني بأغلبية ساحقة: (موافقة 176 ومعارضة 6 وامتناع 3-!! - إذن ماذا؟-!!)، مبارك يوجه كلمة غدا إلى معلمي مصر، - نظيف يبحث دعم مشروعات التنمية واستيراد اللحوم من أتيوبيا...،

حين وصلتني النسخة الورقية قبل طلوع الشمس قرأت في الصفحة الأولى خيرا صغيرا لم أصادفه في النسخة الإلكترونية، (ربما لتفاهته!)، أرجوك أن تستحضر مداركك وذاكرتك البصرية لأن الخبر تجسد أمام عيني عند قراءته:

تصور لو سمحت، بثرا للصراف الصحي يحتاج إلى تطهير، في قرية مصرية جدا، إسمها جردو مركز إطسا، يذهب إليه ثلاثة مصريين، عامل ومهندس وسائق، ينزل حمدي من السيارة يحمل أدوات الله أعلم بصلاحياتها أو تحديثها، ووراءه المهندس محمد، يعطيه تعليماته ويطمئن عليه، وربما رجع ليجلس في المقعد الجاور للسائق ليمسك بمحموله يصبح على خطيبته، أما السائق فلم يترك مقعده أصلا، بل مال على عجلة القيادة وأغفى، فهو لم ينم طول الليل، كان يقود ميكروباسا ليكمل مصاريفه (هل ما زلت معي بذاكرتك البصرية؟، تحمّل المنظر لو سمحت وأنت تكمل):

يتقدم العامل حمدي إلى البئر، وينزل بأدواته البالية، (هلا تحولت قراءتك الآن إلى تسجيل بالصوت والصورة): لا بد أنك - منلى- سوف تسمع صوت الاستغاثة، وصوت الاستجابة لها، ووقع الأقدام الأربعة المهرولة نحو البئر، اثنين، فائنين، ثم صوت السكون الذي خيم حول البئر (لانه لم يكن ثمة مارة آخرون، هكذا قرر خيالي).

وإليك نص الخبر، وهو محشور ببنت صغير بين الأخبار الأهم السالف ذكرها، بالإضافة إلى سطرين تحته هذا نصهما: "حبس مستشارين ورئيس قطاع بالشركة القابضة للمياه لتقاضيهم رشوة" (لاحظ: هي أيضا شركة مياه الشرب والصرف الصحي، لكن في البحيرة).

الأهرام، الأحد، 20 ديسمبر، 2009

الفيوم- من أحمد طلعت: لقي مهندس وسائق وعامل من شركة مياه الشرب والصرف الصحي بالفيوم مصرعهم إثر سقوطهم في بئر للصرف الصحي بقرية جردو مركز إطسا. وكان العامل حمدي شعبان يقوم بتطهير البئر عندما سقط داخلها، فحاول المهندس محمد السيد جميل إنقاذه، لكنه سقط خلفه أيضا، وعندما شاهدهما السائق سيد عبد العظيم حاول إنقاذهما فسقط هو الآخر في البئر، ولقي الثلاثة مصرعهم.

### انتهى الخبر دون تعليق.

لن أدعوك لتجسيد المنظر من جديد، لأنني اشفق عليك أن يحدث لك ما حدث لي هذا الصباح، كما أفضل ان أخفى تساؤلاتي في هذا المقال عن التقصير، وأدوات التطهير البالية، وغياب مظلة التأمينات، فما لهذا كتبت المقال، ثم إنني انشغلت حيث حملني خيالي إلى بيوتهم الواحد تلو الآخر، وحين قابلت أسرتي الأول فالثالث، فشلت أن أعلن اعتذاري لهم عن عجزى عن الخيولة دون ما حدث، كما خجلت من النظر أطول في وجه خطيبة المهندس الشاب.

ما لهذا أيضا كتبت المقال،

لقد كتبت له لأذكر نفسى أن "هؤلاء هم المصريون"، أو هم أغلب المصريين، وليس أولئك الذين تسلخهم الأقلام، والفضائيات، والأرضيات، ودور النشر، ليل نهار، وهم لا يرون إلا سلبيات في سلبيات، دون وعى مسئول بنفص الإنسانية والطيبة والشهامة والمغامرة والشرف الذى يملؤنا فردا فردا، كل هذا الذى شاع وساد مؤخرا وصفا للمصريين، هو قذف قبيح غير مسئول، فهو لا يتحدث إلا عن تدهور القيم، وغياب الشهامة، وتمادى العقوق، ونذالة الشباب المصرى خاصة..إخ، هؤلاء الثلاثة - رحمهم الله- لا أظن أن أحدهم تجاوز الخامسة والثلاثين، لم يمتنع المهندس محمد السيد أن يلقي المحمول من يده ويقفز إلى صديقه العامل حمدي شعبان بمجرد أن سمع استغاثته، لم يكتب أن يد له يده أو حبالا ويناديه أن يمسه به ليشده منه، نزل لتوه لينقذ حياة إنسان مصرى طيب صديق يكدح لأكل

عيشه بما أعطوه من أدوات بدائية بالية، وحين اختفى المهندس الشاب وراء صديقه وزميله في الشقاء وأكل العيش، أفاق السائق من غفوته ليقفز بدوره إليهما قد أصبح على يقين من مدى الخطر الذي ينتظره ما دامت "النداهة" الأحدث قد التهمتتهما الواحد تلو الآخر، لم يعقه ذلك عن أن ينزل إليهما لفوره ليلتقى الثلاثة هناك تحت رحمة ربنا، ما دما

لم نستطع أن نحميهم أو نرحمهم وهم معنا، ثم إننا لم نكتف بذلك، بل رحنا نلعن جيلهم، ونشجب أخلاقهم، ونتحسر على زماننا نحن الذي كان وكان....

أنا لا أنكر وجود سلبيات في أخلاق بعضنا شبابا وشيوخا، وقد كانت موجودة دائما عبر التاريخ، كما أنني لا أقلل من ضرورة شجب الإهمال وفحص بدائية الأدوات، وغياب التأمينات، لكن ما لهذا كتبت اليوم ما كتبت.

إنما أنا كتبت ما كتبت، لأدعو أيًا ممن ليس عنده إلا ما يعرف أو يتصور عن "ماذا حدث للمصريين" سلبا، أدعوه أن يتصور نفسه مكان أي من هؤلاء، لو استطاع، ثم يقول لنا ماذا تبقى عند المصريين من شهامة، وجمال، وتضحية حتى التهلكة، برغم كل معاناتهم، وما يلقون ليل نهار من الزمن والحكومة، ثم لا ينالهم إلا ما تحكون عنهم، عنا، من فوق مقاعدكم، ليس بالضرورة الوثيرة، تحكون عن ماذا حدث للمصريين، وأنت لا تحاولون التعرف على المصريين أصلا إلا من خلال إسقاطاتكم، أو مخاوفكم وتبريركم!!!